عزيزتي أنا

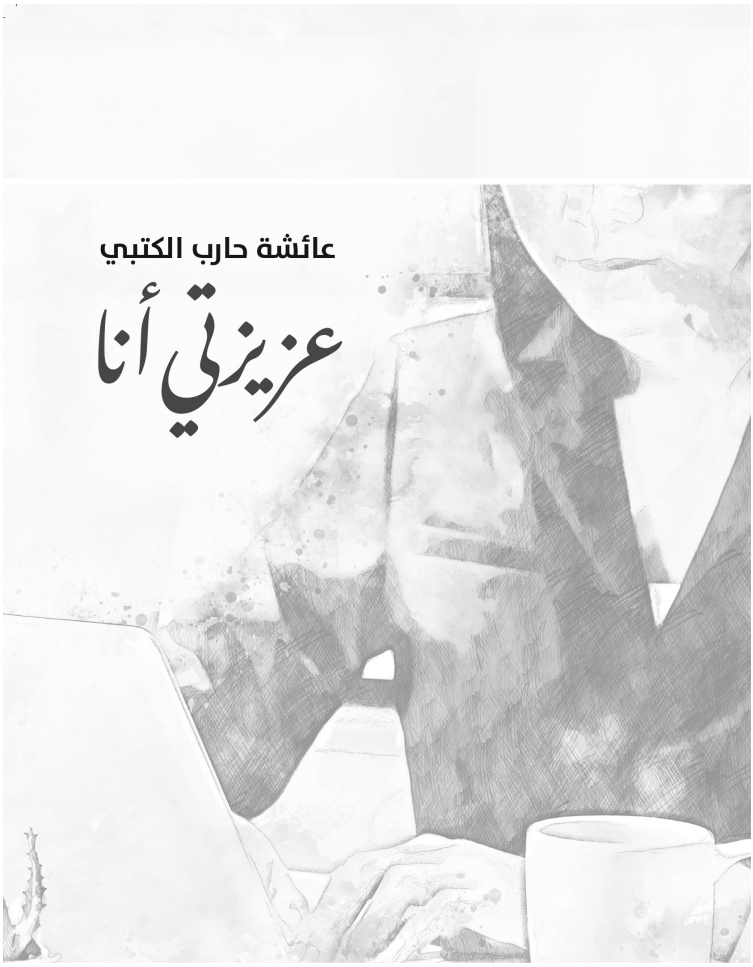

عائشة حارب الكتبي

عزيزتي أنا

مجموعة قصصية

قنديل | Qindeel
للطباعة والنشر والتوزيع

Dear Me

Ayesha Hareb Al-Kubi

(Series of Stories)

عزيزتي أنا

عائشة حارب

مجموعة قصصيّة

© 2019 Qindeel printing, publishing & distrubtion

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو نقله على أي نحو، و بأي طريقة، سواء أكانت إلكترونية أم ميكانيكية أم بالتصوير أم بالتسجيل أم خلا ف ذلك، إلا بموافقة الناشر على ذلك كتابة مقدماً.

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

موافقة « **المجلس الوطني للإعلام**» في دولة الإمارات العربية المتحدة
رقم: **MC-10- 01-3607248** تاريخ **2019/10/17**

ISBN: 978 - 9948 - 36 - 886 - 1

قنديل | Qindeel

للطباعة والنشر والتوزيع

Printing, publishing & Distribution

ص.ب: 47417 شارع الشيخ زايد

دبي – دولة الإمارات العربية المتحدة

البريد الإلكتروني: info@qindeel.ae

الموقع الإلكتروني: www.qindeel.ae

© **جميع الحقوق محفوظة للناشر** 2019

الطبعة الأولى: تشرين الأول / أكتوبر 2019 م – 1441 هـ

أُنجزت هذه المجموعة القصصية بإشراف

القاص إسلام أبو شكير

في إطار برنامج دبي الدولي للكتابة

المحتويات

على درب المعرفة **11**

نهر الهان 13

عمود في البيت 19

حفلة وفاة 21

العودة 27

الصومعة 31

الأخوات 39

عزيزتي أنا 45

أربعون 49

أكريليك 55

مومياء 57

روايتي الأولى 61

أشجار تتكلّم 67

رجل لطيف 69

العطّار 75

X 77

X جنتلمان 79

حريق 81

على درب المعرفة

استمراراً على نهجها الذي خطته لنفسها، يسر مؤسسة **محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة** أن تخرج لعشاق الكتاب والمعرفة حصيلتها الجديدة من ثمار برنامج دبي الدولي للكتابة، بفئات الترجمة والقصة القصيرة وأدب الطفل، التي خرَّجت أقلاماً نفخر بأنهم نهلوا من الخبرات التي أهَّلتهم ليأخذوا مكانهم ومكانتهم في قائمة الكتَّاب، ويثروا المكتبة العربية بنتاجاتهم الأدبية، حيث أضحت هذه الدورات مفتاحهم لولوج عالم الكتابة الإبداعية.

لم تكن بداية **برنامج دبي الدولي للكتابة** إلا خطوة أولى عزمت المؤسسة من خلالها على الوصول إلى الهدف المنشود، وهي تتطلع بكل ثقة إلى أنها ستنتج أفضل الثمار، وها هم منتسبو البرنامج يفخرون بخلاصة معارفهم وهي تلبي شغف القراء، وتشق طريقهم الإبداعي لصقل أقلامهم، لتكون هذه الإصدارات أول قطرات الغيث التي ستحمل، بلا ريب، وابلاً من الإصدارات اللاحقة، أسوة بمن سبقهم من خريجي دورات البرنامج، الذين أضحى عدد منهم خبراء ومستشارين، وحصدت مؤلفاتهم جوائز مرموقة.

لقد خضنا التحدي بكل اقتدار، وحققنا جزءاً من أهدافنا محلياً وإقليمياً؛ ونحن نتطلع من خلال الدعم اللامحدود الذي يوليه لمبادراتنا سمو الشيخ أحمد بن محمد بن راشد آل مكتوم، رئيس المؤسسة، أن نخدم المعرفة وطلابها، ومبتغانا في ذلك أن نحقق تطلعات قيادتنا الرشيدة التي تجاوزت الحدود لتحمل همَّ الأمة العربية والإسلامية من خلال سعيها الدؤوب لاستثمار عقول شبابها ومواردها البشرية ليحققوا النهضة لأوطانهم ويكونوا يد بناء وارتقاء ونماء.

لا يسعنا، ونحن نخرج ما في جعبتنا من جديد البرنامج، إلا أن نتوجه بأعمق الشكر والتقدير لكل من أسهم في نجاح المبادرة بمخرجاتها وفئاتها؛ إذ لا يمكن لمشروع بحجم برنامج دبي الدولي للكتابة أن يبلغ ما بلغه إلا بالتكاتف والتعاون المشترك، ونخص بالذكر المشرفين والمدربين الذين لم يبخلوا بمعارفهم وتجاربهم وخبراتهم، ليثروا بها معارف المتدربين الذين أثبتوا جدارتهم وأصروا على خوض تجربتهم الإبداعية بكل عزم وإصرار.

جمال بن حويرب

المدير التنفيذي

لمؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة

نهر الهان

كانـت صالـة الانتظـار تغـص بالمرضـى ومُرافقيهـم، وبـدت سـاعات الانتظـار الطويلـة تنعكـس علـى وجوههـم المتململـة وكلّ منهـم مصـوِّب نظراتـه علـى الرقـم المضـيء علـى الشاشـة، ومـا إن يضـيء رقـم أحدهـم حتـى يتوجـه مسـرعاً إلـى الممـر المـؤدي إلـى غـرف الأطبـاء.

فـي إحـدى زوايـا الصالـة جلـس سـعيد ناحيـة النافـذة الكبيـرة التـي تُطـل علـى نهـر الهـان أهـم أنهـار مدينـة سـيؤول الكوريـة. أخـذ يراقـب تحـركات الغيـم السـريعة فـي السـماء وهـو يفكـر..

ـ هل سيسقط المطر اليوم أم لا؟ تباً، لم أحضر معي مظلة.

خرجـت ممرضـة يغطـي قنـاع طبـي معظـم ملامـح وجههـا، وذهبـت مباشـرةً إليـه وقالـت:

ـ السيد سعيد أحمد؟

نظر إليها وقال:

ـ نعم أنا هو!

ثم ردد بينه وبين نفسه:

ـ طبعاً، من غيري هنا أسمر البشرة وأجعد الشعر يبدو قادماً من كوكب آخر؟

قالت الممرضة بلطف:

ـ سيدي، لقد ظهر رقمك على الشاشة منذ خمس دقائق، ولذلك خرجت أبحث عنك، يتوجب عليك الذهاب إلى غرفة رقم 6.

زمجر سعيد قائلاً:

ـ أنا جالس على هذا الكرسي اللعين منذ ساعة ونصف، وأنت تقولين إنني تأخرت عليكم خمس دقائق؟!

نهض مسرعاً متخطياً الممرضة المرتبكة وأسرع لغرفة الطبيب.

دخل على الطبيب، وجلس قبالته واضعاً رجلاً على الأخرى، وقال:

ـ دكتور كيم كيف حالك، أعتقد أننا سنبدأ العلاج اليوم.

قال الدكتور:

ـ مرحباً بك سعيد، أنا مسرور لرؤيتك مرةً أخرى، ولكنني لا أرى أحداً من أفراد أسرتك معك كما طلبت منك في المرة السابقة؟

رد سعيد:

ـ أنا هنا للدراسة دكتور، لا أريد لأسرتي أن تقلق، وسأكون بخير في هذه البلاد. الرعاية الصحية هنا ممتازة وكل ما أحتاجه هو طبيبٌ بارع.

ـ بالطبع هذا المستشفى يوفر لك العلاج الأفضل في العالم، ولكن ألا تعتقد أنك ستحتاج أيضاً إلى الدعم المعنوي من أسرتك؟

سأل دكتور كيم..

قال سعيد وهو مغمض عينيه:

ـ أنا بخير، ليس عليك أن تنشغل بشيء سوى عملك دكتور كيم.

رد الدكتور:

ـ سعيد، يبدو أنك لا تقدر الوضع بحكمة، هنالك أمور في الحياة نحتاج إلى أن نستند فيها إلى أحد يعيننا على تخطّيها يا بني.

فقال سعيد وهو يحرّك يده في الهواء:

ـ لست ضعيفاً لأتكئ على أحد، هل سنبدأ العلاج دكتور كيم أم ماذا؟

رد عليه الدكتور قائلاً:

ـ كما تشاء سعيد، ولكن يجب عليك توقيع بعض الأوراق بهذا الشأن.

***

خرج سعيد من المستشفى متثاقلاً بعد أول جلسة علاج مرتدياً كمّامةً ومعطفاً كما نبه عليه الدكتور كيم. ولكنه لم يستطع العودة إلى شقته الباردة الآن، فقرر أن يتوجه إلى نهر الهان القريب منه، وجلس على أوّل كرسيّ صادفه، وأخذ ينظر إلى ما حوله.

هنا أسرة تتناول غداءها في الهواء الطلق، وأصوات ضحكاتهم تصله عبر الرياح الخفيفة لشهر سبتمبر. وهناك الكثير من الأزواج المحبين الذين يتمشون

ويأكلـون الآيـس كريـم. نهـض سـعيد وتوجـه إلـى ممشـى النهـر، وأخـذ يتذكـر كيـف أتـى إلـى هـذا البلـد بشـقّ النفـس بعـد أن عانـى طويـلاً حتـى يحصـل علـى المعـدل الـذي يؤهلـه لدخـول الجامعـة، كيـف قضـى أول سـنتين فـي تعلـم اللغـة واجتيـاز الاختبـارات المطلوبـة.

والآن، بعـد أول جلسـة عـلاج مـن مرضـه الـذي باغتـه فجـأةً بـدأ يفكـر: مـا الـذي أريـده فعـلاً؟ لمـاذا أصـررت علـى كل هـذا؟ ولمـاذا أنـا وحـدي الآن، أتكـئ علـى درابزيـن جسـر فـي مدينـة بعيـدة عـن وطنـي عشـرات آلاف الأميـال؟!

وعندمـا بـدأ يشـعر بـأن دمعـةً أخـذت تتسـلل مـن طـرف عينيـه مسـحها بغضـب، وأخـذ يمشـي بسـرعة، وتسـارعت أنفاسـه حتـى توقـف عنـد لوحـة معلقـة علـى الجسـر علـى يمينـه كُتـب عليهـا: «أنـا معـك، أنـت لسـت وحـدك». أحـس وكـأن هنـاك يـداً مسـحت علـى رأسـه، وأكمـل مشـيته هـذه المـرة بهـدوء، فقـرأ علـى لوحـةٍ أخـرى عبـارةً تقـول: «اليـوم كان صعبـاً جـداً، لكنـك فـي الغـد ستشـعر بأنـك أفضـل، لا تستسـلم». ووجـد هاتفـاً عموميـاً علـى يسـار اللوحـة كُتـب عليـه: «هاتـف أرضـي مجانـي، اتصـل إن كنـت ترغـب فـي الحديـث معنـا، ولا تفكـر فـي الاستسـلام». تذكـر سـعيد أنـه قـرأ قبـل قدومـه إلـى سـيؤول عـن كثـرة حـوادث الانتحـار فـي المدينـة خاصـةً مـن علـى نهـر

الهـان، ويبـدو أن هـذه هـي الحملـة التـي كانـوا يتكلمـون عنهـا فـي الإعـلام طـوال الصيـف.

ابتسـم سـعيد وهـو يعيـد قـراءة الكلمـات المشـجعة. تنـاول هاتفـه ودقّ علـى الخـطّ الآخـر قائـلاً:

ـ ماما، أريد أن أراك...

عمود في البيت

كما في كلّ يوم تدخل ميري. تفتح الستائر، وتبدأ بتشغيل المكنسة الكهربائية، وتمسح، وتمسح، وهي تدندن بأغنية مشهورة تصدح دائماً من هاتف «سلموه» الصغيرة. بعد نصف ساعة تقريباً تدخل سوميتا لتنظم الإفطار على الطاولة، وهي تتأفف من صوت ميري، ويبدو بأنها تكيل لها الشتائم باللغة الإندونيسية. ميري بدورها بدأت تنسحب إلى الحمامات لاستكمال التنظيف، قبل أن تنهض ميثاء، وتبدأ المساجلات الصباحية بينها وبين العاملات.

الساعة السابعة تماماً. ها هو سالم يخرج مسرعاً متأخراً مثل كل مرة، وتركض وراءه سوميتا بكوبه قبل أن يصم أذنيها بأبواق سيارته طالباً القهوة. خرجت زوجته مع «سلموه» لتناول الإفطار، ومضتا بعدها إلى المدرسة. ميثاء لم تنهض

بعـد. هـل أذهـب لأتفقدهـا؟ لا أظـن. أسـمعها تصـرخ علـى ميـري، لأنهـا شـغلت المكنسـة عنـد بـاب غرفتهـا وأيقظتهـا. بعـد عـدة سـاعات خرجـت ميثـاء، ولا أعـرف إلـى أيـن؛ فهـي فـي إجـازة هـذه الأيـام. لـم أشـأ أن أسـألها؛ فهـي تغضـب مـن هـذا السـؤال، ولا أريـد أن أزعجهـا.

وقـت الغـداء ينقضـي ولا يرجـع أحـد، فالجميـع يعـودون قرابة السـاعة الرابعـة بسـبب ارتباطاتهـم، ويرتاحـون عنـد عودتهـم حتـى بعـد المغـرب فـي غرفهـم. بعـد صـلاة المغـرب أسـمع أم سـلمى تصـرخ بهسـتيريا وهـي تـدرس «سـلموه». المسـكينة كانـت تضحـك منـذ دقائـق، والآن لا أسـمع حتـى بكاءهـا. خـرج سـالم مـع زوجتـه للعشـاء خـارج المنـزل، وميثـاء أعلمـت ميـري أنهـا سـتتأخر حتـى لا يقفلـوا البـاب الخارجـي دونهـا..

وأنا ذهبت لغرفتي لأنام..

كما في كلّ يوم..

حفلة وفاة

دخلت حنان خيمة العزاء تجر رجليها جرّاً. وجدت عند الباب خالاتها وبنات خالاتها. أخذن بالنحيب حالما رأينها، وتعالت أصواتهنّ بكلام غير مفهوم، حتى أخذت حنان تهدئ خالاتها، وتطلب إليهنّ أن يذكرن الله، ويدعون لأمها، إذ لم تمضِ غير ساعات فقط على دفنها.

ثم بدأت حشود النساء بالتوافد على خيمة العزاء، والجميع يطالب برؤية حنان. أغلب اللاتي يعزينها كنّ يبكين وينادينها بالمسكينة. أخذت يد حنان ترتعش وجسدها لم يعد يستطيع الاحتمال، فنادت على خالتها..

ـ خالتي أم محمد.. خالتي أم محمد.. سوف أذهب إلى غرفتي قليلاً، و..

ـ أتمزحين يا حنان؟ جميع أهلنا ومعارفنا وأصدقاء

المرحومة بدأوا يتوافدون على العزاء، ليقفوا بجانبنا وبجانبك خاصةً، وأنت تريدين الذهاب إلى غرفتك؟!

ـ إنه وقت الظهر يا خالتي، أريد أن أستلقي قليلاً، فلم أنم منذ ساعات طويلة وأنا في المستشفى..

ـ حسناً يا حبيبتي، اذهبي وارتاحي قليلاً، ولكن لا تتأخري..

***

أخذت أم محمد تتجول في خيمة العزاء لتتأكد من نظافتها، فاسترقت السمع إلى حديث زميلات أختها مريم في المدرسة..

ـ مسكينة مريم.. كانت تحلم بالتقاعد بعدما تقاعد أغلبنا، ولكنها أصيبت بالمرض. هي أصغرنا، ومع ذلك كانت دائماً تعاني من مشاكل صحية. أعتقد كان قلبها أو كليتها، لا أذكر بالتحديد. الحمد لله، نحن بصحتنا وعافيتنا.

ـ مسكينة كانت تنوي الترشّح في مجلس المعلمات. سمعت أن المعلمة سهام والمعلمة فرح قد ترشحتا منذ يومين. أنا محتارة الآن من أرشح. أعتقد أنني سأخبر كل واحدة منهما أنني قد رشحتها.

وأخذن يضحكن فيما بينهن.

***

في الزاوية الأخرى من خيمة العزاء كانت هناك مجموعة كبيرة من نساء العائلة. كنّ يتحدثن فيما بينهن، بينما توزّع عليهن اللقيمات والجباب والخمير. اتصلت منظمة البوفيه بأم محمد، فقد وصل الغداء وهم ينتظرون خارجاً للدخول. هرعت أم محمد تدخل المنظمة، وفي نفس الوقت نهضت زميلة أخرى لأم حنان تصرخ بأعلى صوتها:

ـ ما هذا الذي تفعلونه؟ بوفيه وحلويات في عزاء؟ إنا لله وإنا إليه راجعون. أتعيدون أفعال الجاهلية؟ إنا لله وإنا إليه راجعون.

وخرجت من العزاء غاضبة

***

دخلت أم محمد البيت تبحث عن حنان فلم تجدها في غرفتها، وأخذت تنادي عليها. وجدتها في غرفة أمها جالسة تبكي بصمت.

ـ لا بأس عليك يا حنان. هذه حال الدنيا. أمك لن ترغب أن تراك هكذا حزينة. تعالي وكلي شيئاً. سينتهي وقت الغداء.

ـ خالتي، لماذا ينظر الجميع لأمي كأنها خسرت وهم قد ربحوا؟

ـ هكذا هم البشر يا حنان. كل مصيبة لا تصيبهم يعتبرونها نعمة لهم، ويشفقون على من يترك الدنيا ومن تركوا وراءهم.

ـ ألسنا جميعاً سنذهب في هذا الطريق؟ لماذا يعتقدون أنهم في مأمن من الفاجعة؟ أنا أؤمن بأن أمي توفيت على خير، وهي في خير إن شاء الله. ولكن ما يحدث في خيمة العزاء من ضحك وتهامس وهمز ولمز.. أشعر بالضيق.. لا أريد الجلوس هناك.

ـ لكنه واجبك يا حبيبتي أن تقفي في عزاء أمك و..

ـ الواجب ألا يثقل الناس على أهل المتوفى، وأن يرسلوا لهم غداءهم وعشاءهم إن استطاعوا، لا أن ننظم لهم جلسات الشاي والقهوة، ومراتع للنميمة، وعلى من؟ على أصحاب العزاء أنفسهم!

ـ حنان.. لا وقت لدي الآن لأفرض على الناس تعليمات العزاء. هذه أمور مسبقة تم الاتفاق عليها بين الناس دون إرشادات مكتوبة. هيا انهضي. لا ترغميني على أن أتصل بوالدك، وأخبره بأنك لا تريدين أن تنزلي في عزاء أمك. يكفيه ما فيه.

عادت حنان مع خالتها إلى خيمة العزاء. أوقفتهما امرأة من الحي وقالت:

ـ آه الحمد لله.. حنان.. اسمعي، لا يوجد كاسترد بحبة الحمراء.. رجاءً، أكدي على عاملات الشاي والقهوة أن يقدموه غداً.

العودة

17 ديسمبر 2017

وصلنا إلى فندق بارك تاور نايت بريدج في العاشرة مساءً، وزوجي يذكّرني بأنه سيغادر الفندق في التاسعة صباح الغد لحضور المؤتمر الموفد إليه من قبل عمله، يطلب إليّ ألا أتجول وحدي في شوارع لندن بعد السابعة مساءً، وأنا أهز رأسي متعبة وأردد:

ـ إن شاء الله.

أتذكر ذهوله وشحوب وجهه عندما قلت له إنني أود الذهاب معه في هذه الرحلة. حاول أن يثنيني عن السفر لأنه لن يكون بمقدوره أن يرافقني إلى أي مكان، وقد أصيب بالضجر، لكنني أصررت على مرافقته.

18 ديسمبر 2017

اخترت الإقامة في هذا الفندق لقربه من حديقة الهايد بارك، ولوجود عدد من المطاعم العربية القريبة. غريبٌ أمرنا نحن العرب، متمسكون بكل شيء يذكرنا ببلادنا كأننا نفتقد الشعور بالأمان في بلاد الحرية المطلقة. خرجت من الفندق في منتصف الصباح متجهة إلى مطعم على بعد خطوات لأطلب كوباً من الشاي ومناقيش الزعتر والجبنة الساخنة. لاحظت نظرات من حولي من الشباب العرب، فأخذت أتشاغل بهاتفي، وهم بدورهم انصرفوا عني. الهاتف الذكي! صانع المعجزات، يجعلك تبدو مشغولاً، أو مهماً، وبإمكانك الاختباء خلفه، والاختفاء من واقعك فيه.

عند خروجي من المطعم طلبت من أبي أيمن أن يضع لي بقايا فتات خبز في كيس، وتوجهت إلى الحديقة. جلست أراقب الطيور وهي تلعب، وتسبح، وتحلّق.. أغبطها على سعادتها بأجنحتها. لم انتبه إلى الوقت وأنا جالسة أراقب البحيرة مثل فزاعة في وسط الحقول تحاول أن تحمي محصول صاحبها، حتى مرت بي فتاة عربية وسألتني بلطف إن كنت بخير. تفاجأت بأن الوقت أصبح عصراً، وشكرتها متجهة بسرعة إلى الفندق.. جلست حتى الثانية صباحاً أنتظره.. نمت وأنا أنتظر، ولم أعلم متى عاد، ومتى خرج.

19 ديسمبر 2017

نهضت متأخرة. جلست أراقب سقف الغرفة. السقف، هو ما كنت أرغب أن يكونه زوجي. شخص يحميني، وأعرف أني معه في أمان من تقلبات الحياة. ولكن، هل كنت أحلم مثل المراهقات حتى بعد كل هذه الأعوام؟

نهضت متثاقلة، وبدأت أرتب ملابسه المرمية على الأرض. يبدو أنه خرج مسرعاً. وبينما كنت أثني الملابس وجدت فاتورة لمطعم في فندق في هاي ويكمب وهي منطقة خارج لندن. لكنه ذكر بأن المؤتمر قريب من هنا! لماذا تناول غداءه في هاي ويكمب؟

صباح إنكليزي بارد. أوقفت سيارة أجرة لأذهب لتناول الإفطار في مطعم تعودنا أن نأكل فيه أنا وأمي وأبي عندما نزور لندن. قلت في نفسي: لو جلست في مكان لدي فيه ذكريات جميلة فقد أشعر بتحسن. لم أكن قد وصلت بعد عندما وقعت عيناي على محطة ماريلبون للقطارات. طلبت من السائق أن يتوقف، ونزلت مسرعة لأقطع تذكرة لأول رحلة ستنطلق إلى هاي ويكمب. هذه المرة أريد أن أرى بنفسي مغامرته الجديدة. وعلى كل حال فأنا ضجرة هنا، وقد أجد ما يسليني. عند وصولي للمحطة الأخرى أخذت سيارة

أجرة للفندق الذي تناول غداءه فيه. جلست أشرب الشاي في البهو حين لمحته معها. طفل في الثالثة تقريباً من عمره يتوسطهما، يمسك بيد زوجي وبيد المرأة الأخرى.

20 ديسمبر 2017

هبطت الطائرة ظهراً. خرجت من المطار مباشرةً إلى محكمة الأسرة. كنت أتمشى بحقائب السفر في المحكمة والناس تنظر إليّ باستغراب. عند عودتي متأخرة ذلك اليوم كان المطر يتساقط برقة، ومع كل نفس أتنشقه كنت أجد رائحة عطرة فيها رملٌ وعشبٌ وشيءٌ من الحياة.

الصومعة

كان المطر يتساقط بشدة والسماء داكنة كأنه وقت الغروب وليست الثامنة صباحاً. بدأ سلطان يتململ على مقعده في صالة الانتظار في العيادة. هذه المرة الثالثة التي يسجل فيها موعده قبل أن يفر خارج العيادة دون أن يلتفت وراءه.

هذه المرة عندما تحرك يريد الوصول إلى الباب الزجاجي سحبه من يده بسرعة رجل قصير ذو شعر أجعد أشعث يرتدي معطف الأطباء. قال له بلطف:

ـ صباح الخير. تعال معي نشرب الشاي. الطقس بارد، وما زالت تمطر في الخارج.. تعال معي.

دخل سلطان معه في غرفة صغيرة. لا شيء سوى أريكة في المنتصف، وثلاجة في الزاوية، وهنالك طاولة عليها أواني القهوة والشاي.

بدأ الطبيب الحديث قائلاً:

ـ شاي أم قهوة؟

رد سلطان بدون اهتمام:

ـ سأشرب ما تشربه.

سأل سلطان وهو يسكب الشاي:

ـ ما الذي جاء بك إلى هنا يا صديقي؟

رد سلطان بتمهل:

ـ أمي.

وشرب جرعة من الشاي، ثم أضاف:

ـ يبدو أن أمي اتصلت بكم. سأعرض عليك شيئاً يا دكتور. سأدفع لك نصف مصروفي الشهري، أي ما يساوي ضعف أجر هذه الجلسة، إن أخبرت أمي بأني ملتزم بمواعيد الجلسات، وأني في حالة جيدة.

رد عليه الطبيب قائلاً:

ـ ما رأيك بأن تحتفظ بنصف مصروفك الشهري هذا، وتحضر هذه الجلسات، وأعدك بأنك لن تخسر شيئاً.

ضحك سلطان ضحكةً التقط فيها الطبيب رائحة سخرية.

أخرج هاتفه، ضبط منبهه ليرنّ بعد ساعة، رفع رجليه على الأريكة وغرق في نومٍ عميق، والطبيب ينظر إليه باستغراب.

تكرر هذا الفعل في الجلسات التالية. في الجلسة الرابعة تدخل الطبيب:

ـ أعتقد أنك نلت كفايتك من النوم، ما رأيك أن نتحدّث قليلاً، كأصدقاء هذه المرة. لن أتعامل معك بصفتي طبيباً. ما رأيك؟

رد سلطان وهو يضحك:

ـ حسناً يا دكتور، أقدّر لك أنك لم تشِ بي لأمي خلال الجلسات السابقة. سأحدثك عن أمي. أتعلم ما الذي يؤرّقها في حالتي؟ إنها صومعتي، حيث ترقد كتبي وأجهزتي الذكية. أخبرني يا دكتور. هل الأرض كروية أم مسطحة؟ إن كانت كروية فلماذا تسير الطائرات رحلاتها حسب خريطة الأرض المسطحة؟

رد الطبيب:

ـ هل تقصد بأن الأرض مسطحة؟

لمعت عينا سلطان، ورد بسرعة:

ـ لا أعلم، علماء ناسا يقول إنها كروية. هل أصدق ذلك،

فقط لأنه ما تعلمناه في المدرسة؟ أخبرني يا دكتور. الفراعنة قاموا ببناء الأهرامات منذ مئات آلاف السنين، ورغم التطور السريع الذي نعيشه الآن لم يتمكّن أحد من فك لغز بنائها، أو حتى القيام بعمل يضاهي الأهرامات؟ لماذا؟

وقبل أن يرد الطبيب أكمل سلطان بسرعة قائلاً:

ـ هل صعد الإنسان حقاً إلى القمر؟ هل خريطة العالم صحيحة؟ ماذا عن مثلث برمودا؟ هل هي منطقة يقبع فيها عرش الشيطان حقاً، أم إنها تحتوي على موجات مجهولةٍ تؤدي إلى بلع الطائرات والسفن عند المرور فيها؟

رد الطبيب:

ـ لم لا تخبرني أنت عن وجهة نظرك في هذه الأمور؟

ـ أنا لا أملك وجهة نظر في أي من هذه الأمور بعد. أنا مجرّد شابّ في التاسعة عشرة من عمري، أقرأ في صومعتي، وأبحث منذ سنتين في أمور مختلفة. يبدو أن أمي تعتقد أنني على وشك أن أفقد عقلي أو أنني فقدته حقاً.. لهذا أنا هنا يا صديقي.

ابتسم الطبيب وهو يسمع سلطان يستخدم كلمة (صديق) في مخاطبته. شجعه على ذلك على سؤاله:

ـ لماذا لا تنتسب إلى الجامعة وتدرس هذه الأمور و ...

رد سلطان متهكماً:

ـ الجامعة أو أي مؤسسة تعلمية تغذيك بما تؤمن هي به، وبما هو مسطر في الكتب. وأنا يا دكتور لا أرغب في أن ألقّن ما كتبه غيري منذ مئات السنين وأعتقده. أذكر أن معلم مادة الجيولوجيا رمى بحثي في وجهي لأنه كان مجموعة من الهرطقات على حد قوله، فقد طلب بحثاً عن طبقات الصخور، وليس عن إمكانية وجود سكان في باطن الأرض.

ـ ما الذي تريده إذاً يا سلطان؟

رد سلطان بثقة:

ـ أن أنام يا دكتور.. لقد أضعت عليّ نصف ساعة من قيلولتي.

في الجلسة الخامسة جلس الطبيب يترقب سلطان في غرفة الانتظار، ودخل سلطان في نفس وقته المعتاد.. رحب به، وقال له بسرعة قبل أن يغط في النوم:

ـ سلطان، أعتقد أنك شابّ ذكيّ جداً. ولكن، ألا تظنّ أنك تضيع وقتك بالتساؤلات بدلاً من البحث عن الأجوبة؟

قال سلطان بتململ، وهو يتكور على الأريكة:

ـ دكتور، أنا ما زلت صغيراً، وفي مرحلة البحث، ودراسة ما هو موجود في هذا العالم قبل أن أبدأ في البحث عن الأجوبة.

ـ إذاً، لماذا لا تدرس في الجامعة الجغرافيا أو الفيزياء؟ ستساعدك على فهم ما هو موجود على طاولة العلم في الوقت الحالي، وستجمع هذه البيانات، وبإمكانك لاحقاً أن...

قال سلطان ضاحكاً:

ـ كم تدفع لك أمي يا دكتور؟ سأدفع لك نصف مصروفي. عليك فقط أن تسمح لي بأن أنام ساعة عندك. وأعدك أن أمي لن تعرف شيئاً.

ـ شكراً على عرضك مرةً أخرى، ولكن لا. لا أريد نصف مصروفك الشهري، أريد أن أزور صومعتك يوماً ما.

قهقه سلطان:

ـ إن شاء الله يا دكتور.. ربما في ذكرى تعارفنا السنوية.

لم يحضر سلطان الجلسة السادسة على غير عادته. كرر الطبيب الاتصال بوالدته، فلم يتلقّ أيّ رد. ذكرت موظفة الاستقبال أن أم سلطان اتصلت البارحة لإلغاء جلسات سلطان

وإغلاق ملفه. اتصل الطبيب بسلطان، فلم يتلقّ أي ردّ أيضاً.

في ساعة متأخرة من اليوم نفسه، وقبيل موعد إقفال العيادة، دخل سلطان فجأة.. صرخ الطبيب مبتهجاً:

ـ سلطان.. أين أنت يا بنيّ؟ لقد اتصلت مراراً و..

ثم توقف عن الحديث بعد أن وقعت عيناه على وجه سلطان الشاحب.. مرت دقيقة صمت غريبة، ثم دعاه للجلوس.

قال سلطان بصوتٍ خافت:

ـ لقد أحرقت أمي صومعتي يا دكتور.. لا أعتقد أنني أستطيع دعوتك يوماً ما لرؤيتها.

خرج صوت الطبيب متقطعاً وهو يقول:

ـ كيف تشعر يا بني؟

ـ أحرقت أمي كل ما جمعته وكتبته بحجّة أن كل شيء هو من مالها الخاص وليس من جيبي. قالت إنها سئمت انتظار عودتي إلى رشدي.. غداً ستكون رحلتي لأمريكا يا دكتور. لقد سجلتني أمي في نفس الجامعة التي تخرج فيها أبي، لأدرس نفس تخصصه.. السياسات الدولية.

الطبيب وهو يحاول أن يداري حزنه:

ـ كنت حقاً أرغب بزيارة صومعتك وقراءة أوراقك.

***

خرج سلطان من العيادة في ذلك اليوم بخطوات بطيئة على غير عادته. ودع الطبيب وهو يشد على يده قائلاً:

ـ سأبني صومعةً أخرى في أمريكا، وسأدعوك حتماً إليها يوماً ما.

رد الطبيب مشجعاً:

ـ يوماً ما..

الأخوات

كان المطعم متميزاً بوجبات الإفطار، إضافةً إلى إطلالته المفتوحة على حديقة واسعة تفوح منها رائحة العشب، لا سيما في الصباح. لهذا السبب وقع الاختيار عليه ليجتمعن كلّ سبت، يوم الإجازة، اليوم الوحيد الذي يتحررن فيه من أعباء الحياة اليومية وضغوطاتها.

وكالعادة كانت سمية وسلامة الأسبق في الحضور. تبادلن الضحكات لأن سلمى لم تخيب ظنهنّ. مهما تعمّدن التأخر في الحضور، فإن سلمى تصرّ على أن تظلّ سلمى التي لا تعرف كيف تتعامل مع الساعة.

انتهت نوبة الضحك، وعادت ملامح كل منهما إلى طبيعتها. التقطت سلامة في وجه سمية إحساساً بالقلق، فسألتها:

ـ أهـو محمـد؟ كيـف حالـه؟ متـى سـيتخرج مـن الـدورة العسـكرية؟

ـ بعـد شـهرين إن شـاء اللـه، أمـا كيـف حالـه فـلا تسـأليني يـا سـلامة. بـتّ لا أعـرف هـذا الولـد. لقـد تغيـر فجـأة، بـدون مقدمـات. تعرفيـن كـم كان هـذا الولـد مطيعـاً وحنونـاً. الآن لا أعـرف مـا يـدور فـي رأسـه. لـه عالمـه الخـاص الـذي يبـدو أنـه لا يريدنـي أن أعـرف عنـه شـيئاً.

ـ لا تبالغـي؛ محمـد مـا زال مطيعـاً وحنونـاً، لكنـه لـم يعـد ولـداً، عليـك التعـود علـى فكـرة أنـك الآن لسـت صاحبـة اليـد العليـا فـي قرارتـه. هـو حاليـاً فـي رحلـة البحـث عـن نفسـه. مـا الـذي يريـده فـي الحيـاة و..

قاطعتها سمية:

ـ هـا قـد بـدأت، دائمـاً تدافعيـن عـن محمـد وإخوانـه ولا تحسـين بمشـاعري.

ضحكت سلامة بتوتر وقالت:

ـ لا تغضبـي منـي الآن. نحـن هنـا لنمـرح فقـط، لا لنختلـف علـى الأولاد.

عنـد هـذه اللحظـة أعلنـت سـلمى حضورهـا. كعبهـا العالـي

وهـو يقـرع الأرض، وعطورهـا الثمينـة وهـي تطغـى علـى رائحـة الحديقـة.

ـ هلو هلو.. مرحباً يا بنات..

قالتهـا وهـي تلقـي بنفسـها علـى المقعـد، وتضـع حقيبتهـا الفاخـرة علـى الطاولـة. ردت سـمية:

ـ هلويـن.. أعتقـد أن اليـوم الـذي سـوف تأتيـن فيـه علـى الموعـد هـو يـوم الصـلاة علـى جثمانـي.

ردت سلمى متهكمة:

ـ لا أعتقـد، فأجـواء الجنـازات لا تناسـب طباعـي.. كمـا أننـي طلبـت مـراراً تغييـر الموعـد إلـى السـاعة العاشـرة.

قالت سمية:

ـ حتـى العاشـرة لـن تناسـبك يـا سـلمى. إنـه يـوم واحـد فقـط.. حاولـي النهـوض مبكراً.

تدخلت سلامة وقد بدا عليها الضيق:

ـ هيه بنات، كفاكنّ، يجب أن نطلب الآن. إنني جائعة.

وبطريقتها اللاذعة المعتادة ردت سلمى:

ـ وأنـتِ يـا سـلامة، دائمـاً جائعـة؟ متـى سـتفكرين بجديـة

بإنقاص وزنك؟ العمر يمضي، وأنت لم تعودي صغيرة حتى لو كنت أصغرنا.. يجب أن تسرعي وتبحثي عن زوج.

ـ لا أعرف يا سلمى ما فائدة الزوج إذا كان سيقضي 25 ساعة في العمل مثل بو عبيد؟

انتفضت سلمى معترضة:

ـ ماذا تقصدين يا سلوم؟ هل تعايريني لأن بو عبيد دائماً على سفر؟ هذه متطلبات وظيفته ليس لي يد فيها. وأنتِ..

وبدأت بالبكاء بشكل هيستيري مضحك، فصرخن سلامة:

ـ دائماً تبكين كي يتعاطف الكل معك. لم أربح يوماً نقاشاً معك بسبب دموع التماسيح التي في عينيك.

ضحكت سمية وقالت:

ـ الحمد لله أنني الكبيرة. الكبيرة دائماً مفضلة، وبعيدة عن صراعات الصغار.

غمزت سلامة لسلمى وقالت:

ـ الكبيرة تفتخر بإنجاز لم تحققه بنفسها، ولكن فقط لأنها خلقت كبيرة تميزت بيننا.

تنحنحت سمية قائلة:

ـ أنا سأطلب عجّة بيض بالفرن، وشاياً بالحليب.

قالت سلامة وهي ترمق سلمى بطرف عينها:

ـ وأنا شكشكوكة، وكرواسون شوكلاته، وكابتشينو..

فهمت سلمى معنى نظرة أختها إليها، فعلقت:

ـ الكرواسون لي يا سلامة. يجب أن تركزي على الشكشوكة فقط.

بعد ساعة نهضت الأخوات. احتضنّ بعضهنّ، على وعد اللقاء السبت القادم.

عزيزتي أنا

ها أنا هنا في المكتب من الساعة السابعة صباحاً لأطبع تقريراً لمديرتي «الساحرة» السيدة سعاد، حيث لم يسكت هاتفي طوال الليل وهو يرسل إشعارات لي بوصول رسائل منها واحدة تلو الأخرى، لإضافة ملاحظة، أو حذف فقرة، أو تعديل عبارة في تقرير مهم جداً جداً على حسب قولها، ويجب أن يرفع في الساعة العاشرة صباحاً لمدير الإدارة «غراب النحس» السيد جمال. الساحرة طلبت مني أيضاً تصميم إنفوجرافيك لبيانات لم تقع عيني عليها إلا الساعة الواحدة صباحاً وأنا أستمع إلى نصائح خبير الحياة في اليوتيوب بألا أصبح نصف إنسان وأقوم بعمل لا أحبه حتى أصل إلى فراش الموت وأندم على عمري الذي مضى. البارحة كان أول يوم في السنة الجديدة 2020 ورغبت بسماع شيء محفز، ولكن لا أعلم لماذا شعرت بالإحباط أكثر.

بعد نصف ساعة بدأت ألملم محتويات التقرير. مر عامل القهوة يحمل بدلته وسلم ببشاشة ماضياً إلى المطبخ وأنا أفكر، ربما لو كنت مكانه لكنت خالية البال مثله لا أركض صباحاً لأعد تقارير، لا أعلم لماذا تطلب دائماً في آخر لحظة وتكون دائماً مستعجلة. وصلني بريد إلكتروني على هاتفي الشخصي وكان عنوانه غريباً: «هل مازلت على قيد الحياة؟» مع «إيموجي» ابتسامة! ما هذه المزحة الثقيلة؟ فتحت البريد بسرعة وبدأت بالقراءة:

- «عزيزتي أنا... أنا هي نفسها أنت ولكنني من سنة 2005، وأنت من سنة 2020. فكرت الدكتورة مارغريت بأن نكتب رسالةً للمستقبل في آخر حصّة لنا، على أن نضبط ميعاد وصول الرسالة أول عام 2020. والآن نحن جميعنا على أجهزة الحاسب الآلي، كلٌّ يكتب رسالته الخاصة في هذا الموقع الذي اقرحته مارغريت.. يبدو أنها واثقة من أنها ستقرأ هذه الرسالة حتى بعد 15 سنة من اليوم.. المسكينة لقد أطفأت شمعتها الـ63 في إجازة أعيادهم المجيدة، ولكن يبدو بأنها متفائلة جداً بالقادم من عمرها، وهذا ما سأفعله أنا أيضاً.. أرجو أن تكون أمي وأن يكون أبي وأخواتي وإخواني جميعهم بخير في 2020.. أراهن بأنك الآن يا فطومتي دكتورة في العلاقات الدولية.. ربما تعملين في السفارة أو في

ملحقية.. سفيرة هههه.. لا لا.. أعتقد أنك الآن ربما مستشار أو سكرتير ثالث.. وماذا حدث مع خالد؟ هل أنجبنا الأولاد والبنات والآن نعيش معاً في حب ووئام؟ أريد أن أخبرك بأنني أؤمن بك كثيراً.. أعلم أنك ستحققين كل ما أحلم به.. الذي رأيته في حياتك يفوق عمرك اليوم وأنت تقرئين هذه الرسالة.. أرجو أن لا تكوني قد تغيرت.. حسناً سأرضى بتغيير للأفضل، ولكن ليس للأسوأ.. عندما تقرئين هذه الرسالة أتمنى أن تكتبي رسالة أخرى لفاطمة الأخرى في سنة 2035.. ذكّريها بأن تكون قوية.. سلام».

انتهت الرسالة وأنا أحدق في الهاتف. يا إلهي! لقد كنت صاحبة مزاج ثقيل.

أقصد كيف نسيت أمر هذه الرسالة؟ كيف نسيت أمر الأمنيات الصغيرة المخبأة فيها؟ لقد غادرنا أبي في سنة 2010.. وأمي في سنة 2015.. إخواني وأخواتي. نعم نلتقي كلّ يوم جمعة في بيت عبيد. أما خالد.. لا أريد الحديث عن خالد، فمزاجي لا يحتمل ذلك. ماذا قلت يا فاطمة من 2005؟ لست مستشارةً في السفارة، بل إدارية في مكتب متهالك يحكمه غراب وساحرة.

لم أستطع العودة إلى التقرير. بدأت أشعر بالفراغ وبرغبةٍ

كبيـرةٍ فـي البـكاء. لمـاذا تحمّلينـي يـا فاطمـة مـن سـنة 2005 أحلامـك، وتطلبيـن منـي أن أبقـى قويـة؟ لمـاذا ترميـن علـيّ رغباتـك، ويجـب أن أكـون أنـا الجنيـة التـي تحققهـا لـك؟

في تلك اللحظة دخلت الساحرة وقالت:

ـ أين التقرير يا فاطمة؟

ـ اذهبي أنـت وغرابـك وتقريـرك إلـى الجحيـم. إذا كان مهمـاً جـداً ومسـتعجلاً كمـا تقوليـن، فلمـاذا لـم تقضـي الليـل بإعـداده ووضـع اسـمك عليـه أيتهـا السـاحرة؟

هـل قلـت هـذا الـكلام؟ طبعـاً لا.. بـدأت أحـدّق فيهـا، وأحـاول أن أخـرج الـكلام مـن رأسـي. وصلتنـي الرسـالة الشـهرية مـن البنـك تفيـد بخصـم نصـف راتبـي لاسـتحقاق الديـن. أجبـت علـى السـاحرة قائلـة:

ـ سأوافيك بالتقرير بعد نصف ساعة.

أربعون

تتسلل أشعة شمس يوم الجمعة من وراء نافذة الغرفة، فقد نسيت أن أغلق الستائر ليلة البارحة بسبب الإرهاق والتعب من ليلة طويلة قضيتها في المجاملات والقبلات مع الأهل والمعارف وغيرهم في حفل زفاف ابنة ابنة خالتي. تقلبت قليلاً في السرير، ونهضت على مهل بحركة بطيئة، وذلك بعد درس مؤلم تعرضت له قبل شهرين، حيث نهضت من السرير بحركة بهلوانية شلت لي جسمي.. ماذا قال لي الطبيب في قسم الطوارئ؟ آه نعم؛ قال لي يجب أن أراعي نفسي، فلست فتاة صغيرة يحلو لها النط والقفز متى ما شاءت. وقلت للطبيب بكل ثقة إنني لست كبيرة في السن، ولم أبلغ الـ40 من عمري بعد. وردّ عليّ ردّاً مهذّباً بأنني لم أعد صغيرةً كذلك.

دخلت الحمام، وبدأت أفرش أسناني على مهل، وأتذكر أحداث البارحة.

بنات خالتي كنّ جميعاً يرددن:

ـ ما شاء الله.. تبارك الرحمن.. الله أكبر.

كان ذلك عندما كنت ألتقط صور السلفي مع العروس الجميلة، حتى إن إحدى القريبات ذكرت لي في حديث عابر أنها لم تتوقع أن تراني في الحفل، وعندما سألتها لماذا؟ ارتبكت، وقالت:

ـ لأنك دائماً مشغولة.

فابتسمت بلطف، وقلت لها إنني أحب المناسبات السعيدة، وإن كنت مشغولة فحضورها يسعدني. فتمتمت بشيء لم أسمعه بسبب أصوات الموسيقى، وهربت لطاولة أخرى.

***

نزلت أبحث عن أمي، فوجدتها تجلس في صمت في صالة المنزل، ورائحة البخور تعبق في كل مكان، وسورة الكهف تصدح في الأرجاء. قبّلت رأسها قائلة:

ـ صباح الخير يا جميلة، كيف حالك بعد صداع البارحة؟

نظرت أمي لي بعتب، وقالت:

ـ ألـم أقـل لـك بأنـه مـن الأفضـل ألا نذهـب لحفلـة عـرس عليـاء؟!

قلت لها وأنا أضحك:

ـ وأضيع فرصة أن أحظى بنظرات الشفقة من نساء عائلتنا الكرام؟ لا تقلقي يا أمي علي، فهذه الأمور لا تقلقني بقدر قلقي من أنني لا أستطيع الحصول على وظيفة أخرى في هذه السن.

ردت أمي بعصبية:

ـ لماذا؟ إنك فتاة مجتهدة، ويشهد لك الجميع بأنك متميزة في كل وظيفة عملت فيها.

قلت لأمي:

ـ ذكرت لي المسؤولة الأسبوع الماضي أنني أكبر من السن المطلوب، وهم يبحثون عن الشباب في هذه المرحلة للتوظيف، على الرغم من أن الوظيفة تتطلب سنوات خبرة.. ما هو سنّ الأربعين يا أمي؟ كبرت جداً على أن أبدأ حياة جديدة.. وكبرت أيضاً على أن أحظى بفرصة في وظيفة مرموقة. هل عليّ أن أجلس في زاوية وأنتظر الموت؟

بـدأت عينـا أمـي تغصـان بالدمـع، وكرهـت نفسـي كثيـراً.. مـا ذنـب هـذه الأم الحنونـة أصـبّ جـام غضبـي عليهـا؟ وقلـت بسـرعة:

ـ سـامحيني يـا أمّـي، فأنـا غاضبـة جداً لأننـي لـم أحصـل علـى تلـك الوظيفة.

ردت أمي مشجعة:

ـ هم الخاسرون ولست أنت، فلا تغضبي يا صغيرتي.

***

جلسـت مـع أمـي بعـد صـلاة الجمعـة علـى طاولـة الغـداء مـع إخوتـي وأخواتـي الذيـن قدمـوا مـع عائلاتهـم لزيـارة أمـي كمـا فـي كل جمعـة، وكان الحديـث أغلبـه عـن عـرس البارحـة. طلـب إخوتـي الحديـث مـع أمـي علـى انفـراد، فجلسـت أتجـاذب الحديـث مـع أطفالهـم، ونلعـب معـاً حتـى انفـض اجتماعهـم. لـم أرغـب أن أسـأل أمـي عـن سـبب اجتماعهـم مـن دونـي، فقـد كنـت وصلـت لمرحلـة لا أرغـب فيهـا بسـماع أي نقـاش يقـود إلـى تبـادل آراء، ثـم يعقبـه شـجار، تليـه قطيعـة لمـدة أسـابيع. أصبحـت أبحـث عـن راحـة بالـي لا أكثـر. خـرج أغلبهـم غاضبـاً مـن اجتماعهـم المغلـق، وشـكرت اللـه أنـي لـم أنضـمّ إليهـم.

بعـد يومـين كنـت مـع أمّـي فـي المحكمـة. قالـت شـيئاً عـن ملكيـة بيـت العائلـة. فهمـت أنهـا تريـد أن تنقلهـا إلـى اسـمي. لـم أهتـمّ. لكننـي سـمعتها تذكـر أنهـا رغبـة إخوتـي. ولـم أسـأل.

أكريليك

إنه شهر أغسطس، حيث لا يمكن لذبابة أن تطير في هذا الجو الملتهب، وأنا هنا أضرب بوق السيارة بدون توقف كي أطلب كوب كرك (شاي بالحليب). يكفي أن تشير بسبابتك من بعيد ليأتي لك عامل محل الشاي بكوب ساخن من الكرك. كأنه لا يكفيني أن تكويني حرارة الجو، ولكني أرغب في أن أكوي أحشائي أيضاً.

المدينة شبه خالية. إنه موسم الإجازات. شهر أغسطس عاد، ومازلت أبحث عن عمل. لقد تخرجت من الثانوية العامة منذ 3 سنوات بمعدلٍ ضعيف، وتوجهت للخدمة العسكرية مباشرةً. طلب مني أبي أن أنضم إلى الجيش، وطلبت مني أمي أن أسمع كلام أبي. ولكنني أصررت أن أبحث عن عمل، وأكمل لاحقاً دراستي. الحقيقة هي أني

أرغب في دفن نفسي بين أوراق الكانفاس وألوان الأكريليك. ولكن أبي حلف يميناً أن يطلق أمي إن فعلت، وأمي تسقط مغشياً عليها كلما ذكرت حرفي الفاء والنون. خرجت حاملاً أوراقي إلى مركز البلدية. أوقفني الموظف هناك قائلاً:

ـ عبد الرحمن.. كيف حالك؟ هل مازلت تبحث عن عمل يا ولد؟

رددت عليه ضاحكاً:

ـ هلا بو عبد الله.. نعم مازلت أبحث عن عمل، وهل مازالت الوظائف لخريجي الجامعة فقط؟!

ـ اسمع.. هناك وظيفة مفتش مواقف.. أنا مستعد أن أقدم لك أوراقك لو رغبت.

وهذا ما حصل.

لم يبدأ شهر سبتمبر إلا وقد أصبحت مفتش مواقف هنا، في منطقة الفنون.

مومياء

السادة مجلس المديرين المحترمين:

أشكركم على جهودكم البناءة في خدمة مؤسستنا وأتمنى لكم وافر الصحة والنجاح.

من موقعي المتواضع اسمحوا لي أن أوضح لكم أمراً. أريد أن أتحدث عن العمل في مؤسستنا. هو عمل شاق في الحقيقة. شاقّ جداً. يجب أن تكون يومياً على رأس العمل في الساعة الثامنة صباحاً، ولا تغادر حتى الساعة الثالثة عصراً! أيّ تقديم أو تأخير عن هذا التوقيت بالتحديد قد يتسبب بحصول الموظف على إنذار، أو خصم من الراتب. جهاز بصمة الموظفين كما تعلمون هو دستور العمل الذي يجب احترامه.

لا يوجد جديد هنا قبل إصدار أمر من مجلسكم الموقر،

ولا يتم تغيير ورقة قبل اعتماد أكبر رأس في الهرم لذلك. كل شيء هنا يبدو لامعاً وجديداً، ولكن إن دققتم النظر فستجدون الكثير من الغبار. بل قد تجدون مومياء معلقة في إحدى خزانات مكتب الأرشيف في الطابق الثالث. الجميع هنا ينتظر الساعة الـ3 مساءً بشوقٍ موجع. انظروا إلى جموع الموظفين الذين يتسابقون على جهاز البصمة مثل الجراد المنتشر عندما تدق الساعة الثالثة كل يوم.

أغلب الموظفين على مدار السنة متأففون، لا يفكرون إلا في الإجازات، وفي نهاية السنة تجد الجميع ساخطين يفكرون في التقييم السنوي، والأمل في الحصول على تقدير امتياز. وبالطبع، كلما كان لسانك ممرناً، وذا عضلات، ولك قريب في منصب كبير، أو يملك وجاهة اجتماعية، فلا خوف عليك ولا حرج. أما إذا كنت مثلي، ابنة عائلة بسيطة، ولا تطلب شيئاً غير ما يسنه القانون، فعليك أن تفكر ملياً قبل أن تطالب بالامتياز في التقييم السنوي، كي لا تحصل على ضربة مرتدة قد تتسبب في إعفائك من منصبك بسبب الأداء الضعيف!

أتعلمون بأنه أثبتت الدراسات التي لا أعلم مصدرها، أن الموظف يجب عليه تغيير عمله أو مهامه كل 3 سنوات، إن لم يحصل على أي نوع من التطوير أو التغيير في مجاله أو

حتى الانخراط في مشاريع مهمة؟ هذه الدراسات لا تعلم أننا نحتاج إلى أكثر من 10 سنوات لاستحقاق ترقية، وأن فرص العمل على المشاريع المهمة واللجان هي مسجلة بنفس أسماء المقربين، وكراسي المديرين لا تدور إلا بدوران من أعلى الهرم.

عفواً. لقد نسيت أن أعرف بنفسي.. أنا الموظفة مريم مسعود، أحمل 15 سنة خبرة عملية. عفواً مرة أخرى، ما أقصده هو سنوات العمل الفعلية. 5 سنوات تقريباً، وسنوات الخبرة في الصبر عشر سنوات. ربما تتساءلون: لماذا لم أغادر لأبحث عن فرصة أفضل؟ أقول لكم. لقد تربينا على أن الصبر هو مفتاح الفرج، وعليه أكتب لكم هذه الرسالة، لا لتصلحوا من الأوضاع السائدة، ولكن لتوافقوا على إحالتي للتقاعد المبكر، وذلك حسب التقرير الطبي المرفق الذي يوضح بأنني أعاني من مرض انزلاق القرص الرقبي المزمن، وذلك بسبب كثرة الجلوس على كرسيٍّ غير مريح طوال الخمسة عشر سنة الماضية.

مريم مسعود

موظفة الأرشيف

روايتي الأولى

دخلت المقهى مسرعة. فرشت أوراقها وكتبها، وفتحت حاسبها المحمول. أخذت تبحث عن القابس الكهربائي، كأنها تبحث عن بطلها المنقذ وهي تحاول أن تلحق بأفكارٍ راودتها في السيارة قبل أن تفلت من بين يديها.

صاح بها النادل:

- Good afternoon Madam.. long time you didn't come.. how are you?

وصاحت هي الأخرى:

- not now.. later..

جلست تطالع الصفحة البيضاء على شاشتها وهي تقول في نفسها:

ـ هو السبب.. نعم هو.. لقد قطع حبل أفكاري.. تباً.

أخذت تدق بأصبعها على الطاولة وتجول بعينيها أرجاء المقهى. لفت انتباهها رجلٌ في منتصف العمر يرتدي بدلةً، وربطة عنق مضحكة، مع قبعة توحي بأنه رسام من عصر النهضة. كان يحدق بها مبتسماً. بعد دقائق رأته ينهض عن طاولته. وفوجئت أنه أخذ يتقدم باتجاهها. توقف عندها، وسألها بأدبٍ جم:

ـ هل تسمحين لي بالانضمام لك؟

تلعثمت مرتبكة، فهي لا تحب الاختلاط بالغرباء، خاصةً الرجال، لكنها نطقت أخيراً قائلة:

ـ لا بأس.. تفضل يا عم.

رد عليها قائلاً:

ـ اسمي حسام. لا تقلقي، فلن أسأل عن اسمك، ولكنني أفضل أن أُنادى باسمي، لا بكنية أو بلقب أو حتى بمسماي في العمل.. هذه المسميات تجردنا من حقيقتنا التي خلقنا عليها.

برقت عيناها وباغتته بالسؤال:

ـ هل أنت كاتب؟

رد عليها:

ـ لا، ولكن يبدو لي أنك كاتبة.

لـم تعلّـق، وهـو بـدوره صمـت قليـلاً، كأن لديـه شـيئاً يريـد قولـه، لكنـه متـردد. فـي النهايـة حسـم أمـره، وقـال:

ـ لديك مشكلة في الكتابة. تعانين من شحّ في الكلمات.. أليس كذلك؟

استفزّها كلامه، فردت بعصبيّة:

ـ أنـا فائـزة بجائـزة الروايـة الصاعـدة فـي سـنة 2015، وقـد كانـت روايتـي تحتـل المركـز الأوّل فـي مكتبـة نجـم لمـدة 6 أسـابيع. هـا نحـن نتقابـل لأول مـرة سـيد حسـام، وأنـت تحكـم علـيّ دون حتـى أن تعـرف مـن أنـا.

ـ أعتـذر إن كنـت قـد أزعجتـك بكلماتـي، لكننـي أرغـب فـي المسـاعدة فقـط.

ـ كيف ستساعدني بالضبط؟

ـ بنصيحـة صغيـرة فقـط. اكتبـي دون توقـف. من الصبـاح حتى المسـاء. لا تنتظـري فكـرة أو إلهامـاً أو جملـة. لا تنتظـري الوقـت المناسـب أو المقهـى المعتـاد. اكتبـي دون توقـف. إنهـا مهنتـك. يجـب أن تخصصـي لهـا وقتـاً فـي اليـوم، وتعملـي بجديـة. يجـب ألا تنتظـري فكـرة تنقـذك. يجـب أن تصنعـي فكـرة تنقـذ غيـرك.

ردت قائلة:

ـ سأكون صريحة مع نفسي قبل أن أكون كذلك معك. أنا أخشى أن أكتب شيئاً دون المستوى بعد روايتي الأولى. أخشى أن يكون نجاح روايتي الأولى ضربة حظ فقط.. يحدث هذا أحياناً.. أليس كذلك؟

أجابها حسام بجدية صدمتها:

ـ إذاً، اتركي الكتابة، وابحثي عن مهنةٍ أخرى.

قالت بسرعة:

ـ أتسخر مني؟

ـ لا يا عزيزتي. ولكنه الواقع. عليك أن تختاري؛ إما قبول التحدي والمضيّ في عوالم وتجارب جديدة، أو ترك هذه المهنة.

ـ أنا لا أرغب بترك الكتابة، لن أستسلم أبداً، مازلت في أول الطريق.

قال مبتهجاً:

ـ سأنتظر جديدك يا سارة، وهذه القهوة على حسابي. وسأنتظر دعوتك للقهوة على حسابك، حين تصدرين كتابك الجديد.

ونهض واقفاً.. ثم تذكرت سارة شيئاً.

ـ ولكن.. كيف عرفت اسمي؟

ـ أنا قارئ جيد، وأنت بنفسك أخبرتني من أنتِ.

صمت قليلاً، ثم تابع:

ـ آه.. نعم، أنا لست رساماً. أنا نحات من معهد بابل مقابل هذا المقهى.. يوماً سعيداً سارة.

أشجار تتكلّم

كانت تؤمن بأن الأوراق والأشجار تحس وتسمع وتتألم. كانت تتكلم يومياً مع نباتات منزلهم، وتسقيها، وتحب قضاء وقتها تحت ظلالها. حتى سيارتها التي كانت سيارة والدتها سابقاً، تكلمها، وتهتم بها مثل طفل صغير، ولا تذكر أعطالها أمامها حتى لا تجرح إحساسها أو تحزنها.

تعلم ليان أنها لن تكمل عامها الخامس والعشرين إلا بمعجزة، معجزة تتصل بموت روحٍ أخرى على هذا الكوكب قد تمنحها الحياة، وبذلك تستطيع إكمال قصتها. ذكرت لي ليان مراراً أنها لا تمانع في مغادرة هذا العالم مبكراً. تحب أن تعيش حيوات أخرى وبقاؤها هنا لن يجعلها تعيش غير حياةٍ واحدة فقط. كانت تحتفظ بهذه الأفكار لنفسها فقط، وأحياناً تشاركني فيها، فهي تخاف أن تحزن والديها اللذين

يبذلان كل ما في طاقتهما للإبقاء عليها في هذا العالم. حتى كان ذلك اليوم الذي سقطت فيه ليان قبل الوقت الذي حدّده لها الأطباء. كان شهراً عصيباً، وكانت ليان هي من تبقينا صامدين، تضحكنا، تصبّرنا، حتى كنا نعتقد أنها على ما يرام، أو أن الأطباء قد أخطأوا في تشخيص حالتها.

نادتني في صباح ذلك اليوم وهمست في أذني قائلة:

ـ قولي لماما وبابا ألا يحزنا كثيراً.. سأكون بخير إن كانا بخير.. لا تنسوا أن تسقوا أشجاري.

ليان ما زالت معنا.. تحدثنا عبر أشجارها.

رجل لطيف

كنت أبحث عن موقف أمام العمارة التي نسكنها. وقفت في زاوية، وشغلت إشارات الانتباه. سأنتظر قليلاً، فقد يخرج أحد زوار المحلات في الطابق الأرضي، وأحصل على موقفٍ ذهبي. مرت خمس دقائق. فكرت في نفسي.

ـ خمس دقائق أخرى وسأمضي.

اتصلت أمي في تلك اللحظة معاتبة:

ـ أيمن، لقد تأخرت كثيراً، أين البيض والخبز ودواء السكر؟

وقبل أنا أرد عليها رفعت عيني لأرى موقفاً قد أخلي للتو. وقبل أن أتحرك دخل الموقف جارنا العم مازن، ونزل متراخياً من سيارته وهو يرمقني بنظرات شامتة.

قلت لأمي بإحباط:

ـ أمي، مكالمتك هذه ستكلفني 5 دقائق أخرى. انتظري. سأوقف السيارة فوق البقعة الرملية خلف الجسر، وسآتي حالاً.

مسحت العرق المتصبّب من جبيني وفوق شفتي بكف يدي، وأنا أحمل أكياس البقالة، منتظراً المصعد. لمحت العم مازن يتقدم نحو المصعد، وهو ينظرني شزراً، ويقول بصوت عالٍ:

ـ جيل تافه لا يحترم الكبار. يريدون كل شيء جاهزاً.

عندما فتح باب المصعد انتظرته أن يدخل، ثمّ تظاهرت بأن هاتفي يرنّ، فوقفت مكاني، وقمت بوضع أكياس البقالة لأرد على المكالمة. انطلق المصعد، وتنفست الصعداء.

دخلت الشقة وقلت لأمي:

ـ ما بال العم مازن، دائماً غاضب، كنت أعتقد أن البشر عندما يصلون عمر الستّين يبدأون بالتفكير فيما مضى من حياتهم، ويستعدون للباقي من عمرهم بقلب وحكمة أكبر.

قالت أمي:

ـ دع الرجل وشأنه، المسكين يعيش وحده.

قلت بانفعال:

ـ أمـي، المسـكين الـذي يعيـش معـه. لقـد سـئمت إهاناتـه ونظراتـه الغريبـة. هـذا الرجـل لديـه شـركة استشـارية، ويملـك الملاييـن فـي حسـابه فـي البنـك، لكنـه كريـه وبغيـض. لا أعلـم لمـاذا يجمـع المـال كأنـه لـن يمـوت أبـداً. أعتقـد أننـي قـد تحملـت بمـا فيـه الكفايـة منـه. إذا صـدر منـه أي شـيء فـي المسـتقبل سأشـتكي عليـه.

ردت أمي بهدوء:

ـ هـون عليـك يـا بنـي، أخبرنـي كيـف تعلـم بشـأن ملايينـه واسـتثماراته؟

وذكـرت لهـا كيـف أن صديقـي يعمـل فـي البنـك الـذي يتعامـل معـه العـم مـازن، حتـى إن البنـك يعتبـره مـن كبـار الشـخصيات لديهـم.

ضحكت أمي يومها وقالت:

ـ هيـا، قـم، لقـد انتهيـت مـن صنـع عشـائك؛ البيـض بالطماطم كالعادة.

بعدهـا بشـهرين رأيـت العـم مـازن يسـقي نباتاتـه عنـد بـاب شـقته. سـلمت بسـرعة. أردت أن أمضـي، لكنـه بـادر قائـلاً:

ـ تعال اشرب معي القهوة إذا لم تكن مستعجلاً.

خجلت أن أرد الرجل العجوز، فهذه أول مرة يدعوني لشرب القهوة.

قدم القهوة متجهم الوجه قائلاً:

ـ اسمع أيمن، أنا لا أحب اللف والدوران. أنا أريد الزواج من أمك، وأتمنى أن توافق. كما تعلم، أنا أعيش وحدي، وأمك كانت شديدة الكرم في الشهرين الماضيين. كانت تقوم بإرسال الغداء والعشاء لي.. صراحةً، هي سيدة لطيفة، وأعتقد بأننا منسجمان. فما رأيك؟

خرجت من شقة العم مازن بعد أن شكرته على القهوة، وعدت إلى أمي مسرعاً. فتحت الباب. وجدتها تنتظرني. صرخت قائلاً:

ـ أمي!

وقبل أن أكمل قالت:

ـ ما العيب في الزواج في هذا العمر يا أيمن؟ لا تنظر لي هكذا. الرجل يعيش وحيداً منذ زمن طويل، وأنا تركني والدك منذ 13 سنة، و..

صرخت مجدداً بصوتٍ يائس:

ـ أمي!

قالت:

ـ أووووه.. لا تقلق. لن يكون مزعجاً معك بعد اليوم. لقد أعطاني كلمته.

العطّار

يستقبلك الدكان برائحة القرنفل والقرفة والبهارات، وبالألوان المتنوعة لرفوف مليئة بالأعشاب والحبوب المطحونة والعسل والزيوت. المكان شديد الازدحام بالمقارنة بالدكاكين الأخرى. حالما جاء دوري سلمت على البائع، وقبل أن أطلب منه الحلبة قال لي بصوت خافت:

ـ تفريق أم جلب الحبيب؟

X

بدأتَ تنقش الكلمات على طرف لسانك..

لا تبدأْ معي الآن..

لقد انتهيتُ منكَ قبل عقدٍ من الزمان..

X جنتلمان

جميلٌ أن أدّعي أنّ المظلّة قد سقطت من يدي، لأتجنّب التقاء عينيَّ بعينيك..

الأجمل هو إحساسك بالموقف وتداركك اللحظة..

واختفاؤك في ثانية..

حريق

كان يوماً عادياً، مثله مثل أي يوم آخر.. جاسم. يخرج صباحاً لعمله، ويعود العصر لبيته ليأخذ قيلولة، ويخرج بعد المغرب ليلتقي بأصدقائه في المجلس حتى منتصف الليل.

أخرست ضحكات الشباب في المجلس أبواقُ سيارات الإطفاء في الحي. وخرج الرجال يتراكضون خوفاً من أن تكون هذه الأصوات صادرة من منزل أحدهم.

تجمد جاسم وهو يرى بيته يحترق. يحاول أن يتذكر إن كان قد لمح أم ميرة قبل أن يخرج من البيت.. أو إن كانت ميرة وخالد يلونان في الصالة عند التلفاز..

لم يستطع أن يتذكر شيئاً.. لا شيء.